

هذا المبدأ الحقيقي حكام السياسة والشرع عموماً لتسليم البرهان
القاضي بملو الغاية من التربية وإن اختلفوا في الكونية على حسب
المدارك والاقتضات الزمنية



اللورد روبرت بادن باول الكشاف الأعظم العالمى بلباس الكشافة
تقدمه ابنته « بي » بلباس للارشادات (الفتيات الكشافة) وخلفه
الستر « ولسن » مدير معهد جلوبل عند دخوله للمسرح الدول
لكشافة (جامبوري) الذى أقيم فى هولندا سنة ١٩٣٧

وقد دخل فى العقد التاسع من عمره وقد منحه الطبيعة
ما عندها من فتوة وقوة ولم تجرمه لذة الألقاب والنفى فتدرج
فيهما إلى أن بلغ ذروة الأولى وأصبح فى درجة لا بأس بها من
الثانية وكان لا يزال قدوة للشباب ومراجع المربين : بلبس كالطفل
وكالشاب وكالرجل وهو فى الواقع كهل لا بل شيخ . إنما تصالم
للكشف وحياة الكشف جعلت من شيخوخته للشباب الفصح
والعامل المجد الآخذ من المجتمع بأكبر نصيب . فبادن باول فى
حركاته وسكاته كان بعد من الشباب للنهوض وإن يكن شيخاً
فى مظهره وفى منظره ، لأنه كان يلبس ما يتذوقه الشباب ويتحرك
كما يتحرك الشباب ، ويجانس الفتية ويجالسهم دون غضاظة
أو تفاخر . ولعله فى هذا كان يتحدى الطبيعة ويتحدى الدين إذا
استقبلوا الخمسين ترحوا على الدنيا وعلى الحياة ، وعاشوا أمواتاً
يبحثون عن القبر ويستضيفون اللباس فى كل أطوارهم

وتاريخ طفولة روبرت مملوء بالحوادث والمفاجآت فقد مات
أبوه « بادن باول » الأستاذ بجامعة أكسفورد وهو فى الثالثة
من عمره فكفلته أمه السيدة هنريتا ابنة الأميرال « السير سدن
سميث » من أعلام البحرية مدة الحملة الفرنسية مع إخوته الستة
وكذا أخته الوحيدة . ولم تلحقه بمدرسة ما بل اكتفت بتعليمه
المنزلى . وكانت لدى بادن وإخوته سفينة يبحرون بها عاباب اليم

اللورد روبرت بادن باول الكشاف الأعظم العالمى

للأديب خميس زهران

توفى اللورد بادن باول الكشاف الأعظم فى نيرى بكينا
فى صباح ٨ يناير وهو فى الثالثة والثمانين من عمره . وكان
قد مرض مرضاً خطيراً بنوبات قلبية فى نوفمبر من السنة الماضية
ثم تحسنت صحته ولكنها ظلت معتلة ... وقد احتفظ القيد
بصحته ونشاطه حتى الثمانين ثم أخذت بعد ذلك فى الانحطاط .
وما يذكر منه أنه اتخذ له داراً فوق منحدرات جبل كينا
حيث عاش هم قريبته حتى توفى

واشتهر القيد فى حرب البور فى جنوب أفريقيا ودافع
من ماكنج ؟ ولكنه نال شهرته المالية عند ما أسس
حركة الكشافة عام ١٩٠٨ فتجعت نجاحاً عظيماً وأصبح
عدد الكشافين والارشادات فى العالم قبل وفاته نحو خمسة ملايين

بادن باول اسم يعرفه كل من له إلمام بتاريخ الكشافة ، ويعجده
كل من درس مبادئها واعتنقها فى أى قطر من أقطار المعمورة ،
فهو يترجم تلك الحركة المضيئة التى ابتكرها ، وقد وقف نفسه
على خدمة الشباب فى العالمين . وهو هو فى نفسه وأخلاقه
وعاداته وزماته لا يفرق بين جنس وجنس ، ولا يوازي إلا بين
النفس والنفس مجردة

ولد الطفل الإنجليزي « روبرت » مؤسس مذهب الكشف
من أبوين كيريين هما « بادن باول » والسيدة « هنريتا هراس »
ورأى النور فى هذه الحياة لأول مرة هذه بها فى ٢٢ فبراير
عام ١٨٥٧ فى شمال هايدبارك بلندن ، وكان أبواه ممن اشتغلوا
بالتربية ولم يكن يدور بخلدما أن ذلك الابن السادس سوف يأتى
بمذهب فى التربية هو خلاصة آراء ملأها وأظهره عملياً فى ثوب
الكشافة ، حقق بذلك نظريات سقراط وأفلاطون ، ثم أقوال
ابن خلدون ولوتر ومن بعدهم روسو وبستالوتزى وسبينسر فقد
أجمع كل هؤلاء للفلاسفة الأخلاقيين وغيرهم أن أول الواجبات
الإنسانية تأهيل النفوس إلى اكتساب الكمال الممكن بتأسيس
الصفات الصالحة وتأصيل الفضيلة الذاتية بإصلاح النفس للناطقة
حتى تستحق النظر فى حال غيرها أو تخمين سواها ؟ وواقعهم على

والاستنباط ، واتسع نطاق ذاكرته ورهفت حواسه ودقت .
ولقد قيل إن أول عمل قام به هناك هو أنه جمع عدداً كبيراً من
أولاد الأوربيين للصغار ونظمهم واخترق بهم شوارع مدينة
لكنو ، ليعين على بعض الآلات الموسيقية ، وكان يعزف هو
على آلة تدعى « أوكارينا »

واللورد بادن باول ذو اطلاع وافر على شئون ممالك كثيرة ،
فقد انتقل من الهند إلى بلاد الزولو جنوبي أفريقيا بعد أن قام
بمحطات أخرى طويلة كان له فيها مفاخرات جريئة وتجارب قيمة
لا ننظر إلى بادن باول كما ننظر إلى كل شاب ، فهو في طفولته
وفي شبابه ككل منا ، ولكن النظرة التي نهتما هي من يوم
أن هداه الله ، أو قل من يوم أن بعث الكشف من رقدته
في صدر « توماس ستون » ؛ فقد وقع في سنة ١٩٠٤ أن تنبه
الأمريكيون إلى مسألة الكشف وما يكون لها من وقع حيوي .
فذهب المستر توماس ستون الذي كان يتولى إدارة غابات كندا
إلى تأليف نفر من أبناء الإنجليز هناك لاستغلال هذه الغابات
فجعلهم فرقاً على رأس كل واحدة منها واحد يقوم عليهم بدرهمهم
على النظام والعيش في العراء ، يأخذهم إلى الغابة ليعلمهم تسليق
الأشجار واقطفاء الأثر ، والمراوغة ، والاختفاء عن أعين الرقباء ،
والتمرض للشمس . ويملهم كذلك للصحابة وبعض الحرف
للنافعة ، وعندهم شرب الخمر والتدخين

فلما رأى ذلك السير روبرت بادن باول وكان إذ ذاك في أمريكا
الشمالية أعجبته خطة الرجل وصادفت هوى في نفسه ، ولكن
ما لبث أن أسدل النسيان عليها ستاره

وذلك اليوم هو حين صدرت له الأوامر بالذهاب إلى جنوب
أفريقيا لتأدية خدمة عسكرية ، وحين عهد إليه تدريب قوة من
الوطنيين لم يكن لهم عهد بالحرية

مائة شاب من سكان جنوب أفريقيا كانوا للزرعة التي
غرس فيها « الماجور بادن باول » تماثيله كتجربة . ومائة لا أكثر
استطاعوا أن يؤيدوا صدق مذهب الكشف ، لكن بقيادة هذا
الزعيم الكبير ، وهم اليوم يعدون بالملايين في أنحاء المعمورة ،
لا يقف تيارهم جنس أو دين أو مذهب ؛ بل كلهم يعتقدون
مذهب الكشف راضين قانعين بفوائده سواء لأجسامهم ولعقولهم
ولاستعدادهم للحياة كأفراد فاعلين وكأعضاء في المجتمع فاعلين .

فيجازفون بأنفسهم متغلبين على الأعاصير حتى قويت ملكاته وصار
يستعمل الجذاف بلاساقة وذكاء وتعلم الاعتماد على النفس . وبقي
بادن يتلقى بعض العلوم الخفيفة والمعارف السهلة في منزله إلى أن
بلغ الحادية عشرة من عمره فأدخل مدرسة روزهيل الابتدائية
فكثت فيها سنتين كان خلالها للملم للفرد في الألعاب مما جعله
محبوباً من أقرانه وأساتذته . ولقد قال عنه الدكتور هايج بروني
في سياق كلام له : « ماشككت قط في كلمة قالها . ولقد برهن في جميع
أدوار حياته أنه رجل شريف لا يعرف زوراً ولا بهتاناً ولا يخاتل
ولا يشك في كلامه » . ولما بلغ للثالثة عشرة من عمره التحق
بمدرسة تشارترهاوس تلك المدرسة التي تحدث « نكري »
عنها وأشاد بذكائها في رواياته القصصية . وكان سيره التعليمي
عادياً كشأن الطلبة المتوسطين إلا أنه يزم في اللتين اللاتينيتين
واليونانية ، وينافسهم في الأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة .
أما في الألعاب بأنواعها فهو ابن مجدها وقارس حبلتها ؛
شهد بذلك ناظر مدرسته حيث كتب على لوحة الإعلانات
قبيل انقضاء مباريات كرة القدم السنوية : « إن الطالب روبرت
بادن باول حارس مرعى يقظ هادئ الخلق يعتمد عليه دائماً »

وفي عام ١٨٧٦ ترك الفتى روبرت مدرسة تشارترهاوس ،
وكان عمره إذ ذاك تسعة عشر عاماً ، فأخذ يفكر فيما عساه
يكون مستقبله ، ولم يكن قد قرر اتجاه حياته بعد . وفي بعض
الأيام تخضع مسارب الناس لمصادفات ماهرة لا وزن لها ، وقد
يتغير حظ الإنسان ويتبدل مصيره ، لا شيء إلا أن للفرد يريد
أن يحقق ما كتب في صفحته . ومن الحق أن الامتحان
المسكري الذي صادف انقضاه وقت خروج روبرت من المدرسة
كان له من الأثر في حياته أكثر مما كان يتوقع ، فإن تفوقه
ونجاحه بين سبعمائة طالب آخرين دخلوا معه هذا الامتحان بالرغم
من عدم ميله إلى الجندية أرغمته على الالتحاق بالفرقة الثالثة عشرة
من الهوزار بالهند ، وهكذا هيأت له المصادفة الدخول في جيش بلاده
ولما ذهب إلى الهند ضابطاً في الجيش أعجبته الطبيعة
وهام بها ، فأخذ يرى بنفسه في أحضانها ، ويطنخ طعامه بيده ،
ويهيئ فراشه من أغصان الشجر ويهتدي إلى الانبجاعات : بالرياح
والنجوم والشمس والقمر ؛ ويمشي مع الحيوانات والطيور ،
ويلاحظ نظم حياتها ويدرس أنواعها حتى نمت لديه قوة للملاحظة

والقورد بادن باول فضلاً عن شهرته ككشاف أعظم كان يعتبر بحق بطل واقعة مفكنج ، فقد أظهر أثناء حصار مدينة مفكنج عام ١٨٩٩ من النبوغ والبقرية في الفنون العسكرية ما أطلق ألسنة مواطنيه بالدح والثناء عليه

وتلك ولا شك كانت حرباً هائلة لم يكن الإنجليز يتوقعون أن يكون للكشافين أثر فيها . فلم يلبث أن دعى الجنرال بادن باول إلى جنوب أفريقيا عند قيام حرب البوير ، فقام بأعمال جليلة رفعت من ذكره في بلاده

ومما يذكر في هذا الشأن أن الجنرال الإنجليزي حصر بجيشه في مفكنج وهي مدينة صغيرة واقعة في سهول أفريقيا الجنوبية ولم يكن أحد يظن بأنها ستهاجم من العدو كما لا تتوقع أنت مهاجمة العدو لبولتك أو قريتك إذ أن هذا بعيد الاحتمال

قال بادن باول : « ولما وجدنا أننا سنهاجم في مفكنج أخبرنا حاميتنا عن النقط التي ينهض الدفاع عنها . وكان عدد رجالنا قريباً من ٧٠٠ ما بين شرطى ومتطوع ومنظم . ثم سلحنا من الأهليين ٣٠٠ وكان بعضهم من رجال الحدود للقدماء الذين هم أهل لهذه المهمة . غير أن كثيراً منهم كانوا تجاراً وكهنة وغير ذلك ولم يشاهدوا سلاحاً من قبل ولم يجربوا تلم الحركات العسكرية أو الرمي . لذا لم يكن يرجى منهم خير في البدء . اجتمع لدينا بمئذ ألف رجل كلّفوا بالدفاع عن المكان الذي يضم ٦٠٠ امرأة (بيضاء) وولد ، ٧٠٠٠ من الأهليين وكان محيطه نحو خمسة أميال . أليس من المضحك أن تلقى هدواً يقصد تلك وأنت لم تتعلم الرمي قط ؟ »

لقد اضطرب الجيش لهذا الحصار الشديد ولم تعد هناك نفس لم يداخلها الخور إلا صاحب ذلك القلب العظيم الذي عرف الحرب من قبل وبلاها فقد كان على بينة من أمره ، ومعنى هذا أن لا سبيل أمامه غير الإذعان لشئنة الظروف فلا بد مما ليس منه بد

اختلى بعد ذلك زميله القورد « ادوارد سبيل » لحديث قصير استشاره خلاله فيما يختص بالدفاع وأدلى باقتراحه ذا كراً خلة صديقه « توماس ستون » فوافقه عليها ، وقد سره وأحيا الأمل في نفسه أنه قد وجد على الأقل رجلاً خبيراً بالعمل الذي ينتويه والقي مهبه إليه وخفف من غم الجنود وشجنهم ، كما أعاد

الثقة إلى نفوسهم مشهد هذا القوام للمكرى المهيّب وتلك اليد القابضة أبداً على السيف المتدلى بجانبه كأنه قد استحال قطعة متصلة يده ، وهاتان العيّنات الساكنتان أبداً لا تضطربان ولا تختلجان ، وحديثه كلما تكلم عن المخاطر بلهجة المحتقر لها المستخف بها كل الاستخفاف « أرجو أن تحلوني مكاناً حامي الوطيس متأجج النيران » « نعم قد يحاولون الاقتحام ولكني أظن أن لا حاجة بي إلى أن انبه جندياً أن عشرين رجلاً من البوأسل أولى العزم — وهو ما أعتقد فيكم جميعاً — قادرون بلا شك على الثبات في الدفاع عن مدينة كهذه إزاء عشرة أمثال أو قل عشرين من أمثال العدد الذي يتقدم به البويريون لا اقتحام مفكنج » « وما أنا إلا جندي مثلكم وما سيقع لكم هو واقع لي . فهل رأيتم أترأ للضعف أو للتخاذل عندي ، أو لمستم مني ناعية شك في النصر ؟ » ولما ضربت مدينة مفكنج لأول مرة طير خبر ذلك وعاق عليه قائلاً : « كسر إناء طبخ ومات كلب » ولقد كتب إلى أحد القواد البويريين : « إنك لم تأخذ المدينة بالقعود عنها والتطلع إليها »

وجعل بادن باول يظهر الاستخفاف من الحصار إلى درجة جعلت رجال الحامية جميعاً مطمئناً للصدور مرتاحي الخواطر ، كما أن ثقته التامة بالنتيجة واستعجاله القتال تركهم في ذهول من أمره وإعجاب بشجاعته

(البقية في العدد القادم)

فيمس زهرامه

زميم جواله باسكندرية

مجموعات الرسائل

تتبع مجموعات الرسالة مجلة بالأمان الآتية :
السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ،
و ٧٠ قرشا من كل سنة من السنوات : الثانية
والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة
في مجلدين . وذلك من أجل أجره البريد وقدرها خمسة
قروش في الداخل وخمسة قروش في السواحل
ومعرون قرشا في الخارج من كل مجلد .